

القدوة الحسنة

٣

عمر بن عبد العزيز

الخليفة الزاهد

محمد خير يوسف

دار ابن خزم

عمر بن عبد العزيز  
الخليفة الزاهد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

القدوة الحسنة

(٣)

عمر بن عبد العزيز

الخليفة الزاهد

محمد خير يوسف

دار ابن خزم

جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الثانية  
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار  
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - صرّيت: ٦٣٦٦/١٤ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام  
على نبينا محمد وعلى آله واصحابه  
أجمعين .



## وصفه

وهذا أمير المؤمنين . .  
 عمر بن عبدالعزيز . .  
 الذي عُدد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين ،  
 والعلماء العاملين ، والأئمة المجتهدين . .

كان أسمر ، رقيق الوجه ، حسنُه ، نحيف  
 الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، بجبهته أثرُ  
 حافر دابة ، وقد وخطه الشيب .

قال عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : كان واحداً أمته  
 في الفضل ، ونجيب عشيرته في العدل ، جمع زهداً  
 وعفافاً ، وورعاً وكفافاً ، شغله آجل العيش عن  
 عاجله ، وألهاه إقامة العدل عن عاذله . كان للرعية أمناً  
 وأماناً ، وعلى من خالفه حجة وبرهاناً . كان مفوهاً  
 عليماً ، ومفهوماً حكيماً .



وقال فيه الإمام الذهبي : كان حسن الخلق والخلق ، حسن السمّت ، جيد السياسة ، حريصاً على العدل بكل ممكن ، وافر العلم ، فقيه النفس ، ظاهر الذكاء والفهم ، أوهاً منيباً ، قانتاً لله ، حنيفاً زاهداً مع الخلافة ، ناطقاً بالحق مع قلة المعين وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملّوه وكرهوا محاققته لهم ، ونقصه أعطياتهم ، وأخذّه كثيراً مما في أيديهم ، مما أخذوه بغير حق . فما زالوا به حتى سقوه السمّ ، فحصلت له الشهادة والسعادة . .

### أمير المدينة المنورة

عندما وليَ والد عمر مصر ، وهو حديث السن ، أراد والده أن يأخذه معه إلى هناك ، فقال له : يا أبت ، لعله أن يكون أنفع لي ولك أن ترحلني إلى المدينة ، فأقعد إلى فقهاء أهلها ، وأتأدب بأدابهم . فوجهه إلى المدينة ، فاشتهر بها بالعلم والعقل مع حداثة سنه . ثم بعث إليه عبد الملك بن مروان عند وفاة أبيه ، وخلطه بولده ،

وقدّمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، التي قيل

فيها :

بنتُ الخليفة ، والخليفةُ جدُّها

أختُ الخلائف ، والخليفة زوجها

ثم ولي عمر المدينة في إمرة الوليد من سنة ٨٦ إلى

٩٣ هـ .

ولما قدم والياً عليها ، جمع عشرة من أكابر علمائها  
وفقهاؤها ، ومن ذوي الوجاهة والرأي ، وقال لهم بعد أن  
حمد الله وأثنى عليه : إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه ،  
ونكون فيه أعواناً على الحق ، ما أريد أن أقطع أمراً إلا  
برأيكم ، أو برأي من حضر منكم . فإن رأيتم أحداً  
يتعدّى ، أو بلغكم من عامل ظلامه ، أقسمت عليه  
بالله إلا أبلغني . فجزّوه خيراً ، وافترقوا .

وماذا يُنتظر من أمير جمع حوله خير الناس ، من

العلماء والفقهاء ، واستشارهم في الأمور الخاصة

والعامة ، وطلب منهم أن يكونوا عوناً له على الحق والخير والعدل ، وأقسم عليهم أن يخبروه بكل ظلم يروونه أو يسمعون به ؟

إنه يكفي أن نورد هنا قول ربيعة بن أبي عبدالرحمن ، عندما ذاكه قادم البربري شيئاً من قضاء عمر عندما كان بالمدينة فقال له : كأنك تقول : أخطأ ! والذي نفسي بيده ما أخطأ قط !

يعني في الحكم . . فقد كان أمره شورى بينهم ! بل أحبه أهل المدينة حباً جماً . . ومن حول المدينة ممن عرفوه . .

وفي يوم عرفة ، عندما كان عمر أمير الحاج في ذلك الموسم ، قال سهيل بن أبي صالح لأبيه : يا أبتاه ، والله إني لأرى الله يحبُّ عمر . قال : لم ؟ قال : لما أراه دخل له في قلوب الناس من المودة ! وأنت سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً

فَأَحَبَّهُ . قال : فيحبه جبريل . ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبه . فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض . . . . » . رواه مسلم . والبخاري مختصراً .

ومع كل ما بذل من جهد وإصلاح ونشدان حق . .  
يخشى العقاب من الله !

فقد روى مالك في الموطأ أنه بلغه أن عمر بن عبدالعزيز حين خرج من المدينة ، التفت إليها ، فبكى ، ثم قال لمولاه مزاحم : أتخشى أن نكون ممن نَفَتَهُ المدينة ؟!

### المنهج الواضح .. في الحق والعدل

كان منهجه في الحياة أن يكون صادقاً مع الله وإن أغضب بعض الناس .  
وأن يجهر بالحق أمام من كان .

وأن يحكم بالعدل ، لا يخاف في الله لومة لائم .

لقد أرسل إليه الوليد بن عبد الملك بالظهيرة . .  
فذهب إليه ، فوجده غاضباً ، مكفهرً الوجه ، مقطب  
الجبين ، وإلى جانبه السيِّف ، فقال لعمر :

ما تقول فيمن يسب الخلفاء - ربما يعني من بني  
أمية - ؟ أترى أن يُقتل ؟

ولم يجبه عمر أولاً ، لما كان في الوليد من غضب  
ثائر .

فانتهزه الوليد ، وسأله مرة أخرى ، فقال عمر :

هل قتل أحداً ؟

قال : لا ، ولكنه سبَّ الخلفاء .

قال : فإني أرى أن يُنكَل ، ولا يُقتل .

وأحضر سليمان بن عبد الملك مرة حرورياً ، فقال له  
ذلك الحروري : يا فاسق ابن الفاسق . فطلب سليمانُ  
عمرَ بن عبد العزيز وقال له : اسمع ما يقول هذا !

فأعادها مرة أخرى أمام عمر . فقال له سليمان : ماذا ترى عليه يا أبا حفص ؟ فسكت عمر ، فقال : عزمتُ عليك لتخبرني ماذا ترى عليه .  
قال : أرى عليه أن تشتمه كما شتمك ، وتشتم أباه كما شتم أباك .

فقال سليمان : ألا يوجد عندك سوى هذا ؟  
ثم أمر به فضربت عنقه !  
وبعد أن نفذ السيف الحكم . . التحق بعمر بن عبدالعزيز وهو خارج وقال له : والله لقد كنت متوقفاً أن يأمرني بضرب عنقك !  
قال : ولو أمرك بذلك فعلته ؟ قال : إي والله لو أمرني لفعلت !

والآن . . ماذا لو سبَّ أحدهم عمر بن عبدالعزيز نفسه ؟ ماذا سيفعل به ؟ هل يتغير حكمه عما كان يقول ؟

لقد حدث مثل هذا مع والي الكوفة الثقة الذي استعمله عمر بن عبدالعزيز عليه ، وهو عبد الحميد بن عبدالرحمن العدوي ، حيث كتب إلى الخليفة يقول :  
رُفِعَ إليَّ رجلٌ يسبُّك ، أو يشتمك ، فهممت أن أضرب عنقه ، فحبسته ، وكتبتُ إليك لأستطلع في ذلك رأيك .

فكتب إليه عمر : أما إنك لو قتلتَه لقتلتك به قصاصاً ! إنه لا يُقتل أحدٌ بسبِّ أحدٍ إلا من سبَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - . فاسببه إن شئت ، أو خل سبيله .

وكان عمر بن عبدالعزيز - كما قال الأوزاعي - إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيام ، ثم عاقبه ، كراهية أن يعجل الحكم في أول غضبه !

وكان يذكر بالله ويحذر من عقوبته . . ولا يتكلف ذلك . . بل يورد كل مقال في مقامه . .

وعندما حجَّ سليمان بن عبدالمملك . . رأى أمواجاً من البشر في موقف عرفة . . فتعجب ، ولم يملك نفسه أن قال لعمر بن عبدالعزيز : أما ترى هذا الخلق الذي لا يُحصى عددهم إلا الله ؟ فقال له عمر : هؤلاء اليوم رعيتك ، وهم غداً خصماؤك . فبكى سليمان بكاء شديداً . . خوفاً مما رأى . . وخوفاً مما سمع !

وفي تلك الحجة أيضاً أصابهم برق ورعد ، حتى كادت تنخلع قلوبهم . . فقال سليمان : يا أبا حفص ! هل رأيت مثل هذه الليلة قطُّ أو سمعتَ بها ؟

قال : يا أمير المؤمنين ! هذا صوتُ رحمة الله ، فكيف لو سمعتَ صوتَ عذاب الله ؟ !

ولعلك تعجب الآن من منهجه الواضح ، إذا عرفتَ أن حَجَبَةَ البيت كتبوا إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز ليأمر للبيت بكسوة كما كان يفعل من قبله .



فكتب إليهم : إني رأيتُ أن أجعل ذلك في أكباد  
جائعة ، فإنهم أولى بذلك من البيت !

ولم يكن له طمع في الحياة .. ولا حرص على  
البقاء .. بل كان يقول : لولا سنةٌ أحبيها ، أو بدعة  
أميتها ، لم أبال أن لا أبقى في الدنيا فُواقاً .  
والفواق مدة ما بين الحلبتين !

### يحزن لأنه صار خليفة !

كان وقع الخبر عليه عظيماً .. وكان قاسياً وأليماً !!  
وكان يقول بحرقة وألم : والله إن هذا لأمرٌ ما سألتُهُ  
الله قط .

وقد تغيرت وجوه بني عبدالمملك عندما عرفوا أن  
سليمان قد أوصى بالعهد إلى عمر بن عبدالعزيز ..  
فذهبوا ليطلبوه .. فوجدوه في المسجد .. فأخبروه  
بالخبر ، فَعَقَرَ ، أي أنه بقي جامداً في مكانه ، فلم يقدر أن

يتقدم أو يتأخر دهشاً ! ولم يستطع النهوض .. حتى أخذ بضبعيه ، فأصعدوه المنبر ، فجلس طويلاً لا يتكلم .. فقال رجاء بن حيوة : ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فببايعوه ؟ فنهضوا إليه ، ومدَّ يده إليهم . وقال له هشام بن عبد الملك عندما بايعه : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال عمر : نعم ، إنا لله ، حين صار يلي هذه الأمة أنا وأنت !

وبعد الرجوع من جنازة سليمان ، رآه أحد مواليه مغتماً ، فاندesh لذلك مولاه وقال : مالي أراك مغتماً ؟ فقال له عمر : لمثل ما أنا فيه فليغتم ، ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه ، ولو لم يكتب إلي ، ولو لم يطلب مني !

ويقول النضر بن عربي إنه دخل على عمر ، فرآه جالساً هكذا ، قد نصب ركبته ، ووضع يديه عليهما ، وذقنه على ركبته ، كأنه عليه بث هذه الأمة !

وعندما يأتي محمد بن كعب من المدينة ويرى عمر يتعجب ! فيقول له عمر : يا ابن كعب ! إنك لتنظر إليّ نظراً ما كنتَ تنظره !! قال : يا أمير المؤمنين ، أعجبني ما حال من لونك ونحل من جسمك ونفس من شعرك ! قال : فكيف لو رأيتني بعد ثلاث وقد دُلِّيتُ في قبري ، وسالت حدقتاي على وجنتي ، وسال منخري صديداً ودماً ، كنتَ لي أشدُّ نُكْرَةً !

### الخليفة العادل

إنه يقول أولاً : لو أقمْتُ فيكم خمسين عاماً ما استكملتُ فيكم العدل !

وذلك أن الفساد والظلم كان قد استشرى في المجتمع من قبل الولاة والظلمة . وكان عمر حكيماً في معالجة الأمور . . وكان يعرف أنه لا يقدر على إقامة العدل مرة واحدة ، ولا على إقالة معظم الولاة

الموجودين .. بل كان في كل يوم يجي حقاً ويميت ظلماً !

والحديث عن عدالته طويل .. والحوادث والوقائع كثيرة .. مبثوثة في كتب كثيرة .. عرفها القريب والبعيد .. فلا حاجة لسردها ..

وأقول : إنه لم يكن ليعدل فقط .. بل كان «بيدع» فيه .. إذا صح التعبير ..

فبينما هو مرة بين رعيته في حمص .. يتفقد أحوالهم .. يأتيه رجل من عدن يشكو مظلّمته ويقول : أذاك مظلوم بعيد الدار .. فينزل عمر من دابته .. ويستمع إلى شكواه .. ثم يكتب إلى الوالي هناك برّد حقه إليه . ولما أراد الرجل القيام قال له عمر : على رسلك ، إنك قد أتيتنا من بلد بعيد ، فكم نفد لك زاد ؟ أو نفقت لك راحلة ؟ وأخلق لك ثوب ؟

فحسب ذلك كله ، فبلغ أحد عشر ديناراً ، فدفعها  
عمر إليه !!

وكان يعرف أن عمار البلاد والمدن إنما هو بالعدل . .  
فإذ استقام أمر الناس بعدل حكامهم فيهم . . فاض  
الإنتاج وغزر . . فلا أحد يخشى أن يُعتدى على ماله بأي  
شكل . .

وعندما كتب بعض عماله إليه : إن مدينتنا قد  
خربت ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالاً  
لترميمها . . فكتب إليه عمر : أما بعد : فقد فهمتُ  
كتابك وما ذكرتَ أن مدينتكم قد خربت ، فإذا قرأتَ  
كتابي هذا فحصّنها بالعدل ، ونقّ طرقها من الظلم ، فإن  
هذا ترميمها ، والسلام .

وفي إحدى المرات اجتمع بنو مروان على بابهِ ، فأوا  
ابنه عبد الملك ، فقالوا له : إما أن تستأذن لنا على  
أبيك ، وإما أن تبلّغه أن مَنْ كان قبله من الخلفاء يعطينا

ويعرف لنا موضعنا ، وإن أباك قد حرمتنا من ذلك .  
 فدخل عبد الملك على أبيه ، فأخبره بطلبهم ، فقال له  
 عمر : قل لهم : إن أبي يقول لكم : ﴿إني أخاف إن  
 عصيتُ ربي عذاب يوم عظيم﴾ (١) .

وقد اجتمعوا عنده مرة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم  
 قال : يا بني مروان ، إنكم قد أعطيتم حظاً وشرفاً  
 وأموالاً ، وإني لأحسب أن نصف أموال هذه الأمة أو ثلثه  
 في أيديكم . فسكتوا . فقال عمر : ألا تجيبوني ؟ فقال  
 واحد منهم : والله لا نعطيك من هذه الأموال حتى يُحال  
 بين رؤوسنا وأجسادنا . فقال عمر : والله لولا أن  
 تستعينوا عليّ بالمسلمين الذين أطلب هذا الحق لهم ،  
 لأصعرتُ خدودكم . قوموا عني !

ولعل أروع مثال في حبه لشعبه وخوفه عليهم

(١) سورة يونس ، الآية ١٥ .

واعتبارهم أمانة في عنقه ، ما حدّث به الأوزاعي من أن عمر بن عبدالعزيز جلس في بيته وعنده أشرف بني أمية ، فقال لهم : أتحبون أن أُولِّي كل واحد منكم جنداً من هذه الأجناد - وهم القوة العسكرية في البلاد - ؟ فقال له رجل منهم : ولم تُعَرِّضْ علينا ما لا تفعله ؟ فقال لهم عمر : ترون بساطي هذا ؟ إني لأعلم أنه سيصير إلى بلي ، وأني أكره أن تدنسوه عليّ بأرجلكم ، فكيف أوليكم ديني ، وأوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم تحكمون فيهم ؟ هيهات هيهات ! قالوا : ولماذا ؟ أليست لنا قرابة ؟ أما لنا حق ؟ ! قال لهم عمر : ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلا سواء !

### سر عدالة خليفة المسلمين

لم تأت عدالة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز هكذا  
فجأة بدون مقدمات !

فهذا علمه الجم ، وفقهه العظيم ، الذي قال في صاحبه جهابذة العلم في عصره إنهم كانوا تلامذة عنده ! بل نصَّ الإمام الذهبي أنه كان من أئمة الاجتهاد . لكن علمه هذا كان علم العلماء العاملين الخاشعين . . العلم الحقيقي الذي يقود إلى خشية الله . . ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾<sup>(١)</sup> .

فقد سخر علمه لما يُرضي الله . . وما يفيد المسلمين . . ليس إلا . .

وهذه الخشية قادته إلى الخوف من عقاب الله . . يوم لا ينفعه إلا عمله الصالح وما قدمه للمسلمين وأخلص به لله . .

وهذا الخوف من الله قاده إلى العدل بين شعبه . . بل قاده إلى أكثر من هذا ! قاده إلى ترك الدنيا ، والزهد فيها ، وعدم الاكتراث

(١) سورة المجادلة ، الآية ١١ .



بنعيمها ، وعدم الالتفات إلى ملذاتها ، وعدم الغرور  
بمنصبه الكبير الجليل !

فما كان يطمع في دينار غني ولا درهم فقير !

وهذا الزهد كان إعانة له في إقامة العدل ، والمضي  
في المنهج الحق .

وقد نصل معاً إلى قاعدة نتبين فيها أنه لا يتوقع من  
غير العالم أن يحكم بالعدل ، لأن فرص إصابته الحق  
قليلة !

كما لا يتوقع ممن لا يخشى الله في أقواله وأفعاله أن  
يكون عادلاً . . . وهذا واضح .

وأين يبدو لنا خشية أمير المؤمنين وخوفه من عذاب  
الله حتى صار همه الأساسي هو إعادة الحقوق إلى  
أصحابها والعدل بينهم ؟

إنه يقول لك منهجه في ذلك سلفاً - كما كتب بذلك  
إلى بعض عمّاله :

إذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر  
قدرة الله تعالى عليك .

وهذه وقفات وعبر متفرقة ، في ظلال محبة الله  
والخشية منه . . في سيرة أمير المؤمنين . .

### الخوف .. والخشية

هذه زوجته فاطمة تدخل عليه ، فإذا هو في  
مصلاه ، يده على خدّه ، ودموعه تسيل على خده ،  
يشهق الشهقة فتقول قد خرجتُ نفسُه وانصدعتُ  
كبدُه ! فتقول له : يا أمير المؤمنين هل حدث لك شيء ؟  
فيقول لها : إني تقلدتُ أمر أمة محمد - صلى الله عليه  
وسلم - ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض  
الضائع ، والعمري المجهود ، والمظلوم المقهور ،  
والغريب المأسور ، والكبير ، وذوي العيال في أقطار  
الأرض ، فعلمتُ أن الله تعالى سائلٌ عنهم ، وأن محمداً

- صلى الله عليه وسلم - حجيجي فيهم ، فخفتُ أن لا يثبت لي عند الله عذر ، وأن لا يقوم لي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة ، فخفتُ على نفسي خوفاً دمعتُ له عيني ، ووجل له قلبي . فأنا كلما ازددت لهذا ذكراً ازددتُ منه وجلاً .

وتقول زوجته أيضاً : إنه يكون في الناس من هو أكثر صلاةً وصياماً من عمر بن عبدالعزيز ، ولكن ما رأيتُ أحداً أشدَّ خوفاً من ربِّه منه ! كان إذا صلى العشاء ، قعد في مسجده ، ثم يرفع يديه ، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عينه ، ثم ينتبه ، فلا يزال يدعو رافعاً يديه يبكي حتى تغلبه عينه ، يفعل ذلك ليله أجمع .

ويقول الوليد بن أبي السائب : ما رأيتُ قط الخشوعَ أبينُ على وجهه من عمر بن عبدالعزيز !

ويقول مكحول : لو حلفتُ لصدقتُ ، ما رأيتُ أزهداً ولا أخوف لله من عمر بن عبدالعزيز !

وعن عطاء قال : كان عمر بن عبدالعزيز يجمع كلَّ ليلة الفقهاء ، فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ويبيكون .

وقال سعيد بن أبي عروبة : كان عمر بن عبدالعزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله .

ويقول بنفسية الخاشع المتقي - رحمه الله - : لولا أن تكون بدعةً لحلفتُ أن لا أفرح من الدنيا بشيء حتى أعلم ما في وجوه رسل ربي إليَّ عند الموت .

وقيل له : لو جعلت على طعامك أميناً لا تُغتال ، وحرسياً إذا صليت ، وتَنَحَّ عن الطاعون فقال : اللهم إن كنت تعلمُ أني أخاف يوماً دون يوم القيامة فلا تُؤمِّنْ خوفي

وورد في أكثر من مصدر أنه قال لرجل من جلسائه :

يا أبا فلان : لقد أرقّت الليلة تفكراً .

قال : فيم يا أمير المؤمنين ؟

قال : في القبر وساكنه . إنك لو رأيت الميت بعد  
ثالثة في قبره لاستوحشت من قبره بعد طول الأنس  
بناحيته ، ولئن رأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجري فيه  
الصديد وتحترمه الديدان مع تغير الريح ، وبلى الأكفان  
بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب .

ثم شهق شهقة خراً مغشياً عليه !

فقالت فاطمة : ويحك يا مزاحم ، أخرج هذا  
الرجل عنا فقد نغص علينا وعلى أمير المؤمنين الحياة منذ  
ولي ، فليته لم يل .

فخرج الرجل ، وجاءت فاطمة ، فجعلت تصبُّ  
على وجهه الماء وتبكي ، حتى أفاق من غشيته .

فراها تبكي فقال : ما يبكيك يا فاطمة ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، رأيت مصرعك بين  
أيدينا ، فذكرت مصرعك بين يدي الله ، وتخليك عن

الدنيا ، وفراقك لنا ، فذلك الذي أبكاني .  
 قال : حسبك يا فاطمة فقد أبلغت .  
 قالت : ثم مال ، فسقط ، فضممته إليّ وقلتُ :  
 بأبي أنت يا أمير المؤمنين ، فما نستطيع أن نكلمك بكل  
 ما نجد في قلوبنا .  
 فلم يزل على حاله تلك حتى حضرت الصلاة ،  
 فصبّت على وجهه ماءً ثم نادته : الصلاة يا أمير  
 المؤمنين . فانتبه فرعاً !

وتبكي في إحدى المرات بكاء شديداً بعد وفاته ،  
 فيأتيها أخواها مسلمة وهشام يستفسران عن سبب  
 جزعها ، فتقول إنها تذكرت أمير المؤمنين في ليلة ،  
 فعلمت أنه كان يستشعر هولاً عظيماً قد استكنّ في قلبه .  
 قالت :

رأيتُه ذات ليلة قائماً يصلي ، فأتى على هذه الآية :  
 ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ  
 كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ ، فصاح : واسوء صباحاه . ثم

وثب ، فسقط ، فجعل يضعف وينكسر حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، ثم هدأ ، فظننت أنه قد قُضي ، ثم أفاق . . . فنادى : يا سوء صباحاه . . . ويلى من يوم يكون الناس فيه كالفراس المبتوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش . . . قالت : فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عياني ، فلم أملك ردَّ عبرتي !

لقد كان وقافاً عند كتاب الله ، ملتزماً بأحكامه ، متأثراً بتلاوته ، خاشعاً منصتاً عند قراءته .

وانظر إلى لفظة تربوية من أمير المؤمنين يسديها لجلسائه . . . فقد روى عبد الحميد بن لاحق أن رجلاً قرأ عند عمر بن عبدالعزيز سورة وعنده رهط ، فقال بعض القوم : لحن (أي أخطأ) ، فقال له عمر : أما كان فيما سمعت ما يشغلك عن اللحن !؟

وعندما يأتي ابن زياد إلى عمر من المدينة ، يسأله عن صلحائها ونسألكهم . . . ثم يقول له : يا ابن أبي

زياد ، ألا ترى ما وقعتُ فيه ؟  
فقال له : يا أمير المؤمنين إني لأرجو لك خيراً .

فيقول : هيهات هيهات !

ثم بكى عمر ، حتى جعل ابن أبي زياد يرثي له ،  
وقال : يا أمير المؤمنين ، بعض ما تصنع فإني أرجو لك  
خيراً .

قال : هيهات هيهات ! أشتُم ولا أشتَم ، وأضربُ  
ولا أضرب ، وأؤذي ولا أؤذى . . ثم بكى .

وكتب إلى الناس في موسم الحج يقول :  
أما بعد : فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر  
الحرام ، والبلد الحرام ، ويوم الحج الأكبر ، أني بريء  
من ظلم مَنْ ظَلَمكم ، وعدوانٍ من اعتدى عليكم ، أن  
أكونَ أَمَرْتُ بذلك أو رضيتَه أو تعمدته ، إلا أن يكون  
وهماً مني ، أو أمراً خفي عليّ لم أتعلمه ، وأرجو أن يكون  
ذلك موضوعاً عني مغفوراً لي إذا علم مني الحرص  
والاجتهاد . ألا وإنه لا إذنَ على مظلومٍ دوني ، وأنا معول



كل مظلوم ، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم . .

### التقوى .. والمال الحلال

إذا كان في حوائج المسلمين تُسرج عليه الشمعة من بيت المال ، فإذا فرغ أطفالها وأسرج عليه سراجَه !

وعندما أحضر مسكً من الخزائن ، من بيت المال ، أمسك على أنفه مخافة أن يجد ريحها . . وعندما قيل له في ذلك قال : وهل ينتفع من الطيب إلا بريحه؟! فما زالت يده على أنفه حتى رُفعت !

ويهدي إليه أحدهم تفاحاً ، فيقول : ما أطيب ريحه وأحسنه . . ثم يعيده ! فيقول ذلك الرجل : يا أمير المؤمنين ! إنها من ابن عمك ، وهو رجل من أهل بيتك ، وقد بلغك أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -

كان يأكل الهدية . قال : ويحك ! إن الهدية كانت له هدية ، وهي اليوم لنا رشوة !

وكان - رحمه الله - يجعل كل يوم درهماً من ماله الخاص في طعام المسلمين ثم يأكل معهم !

وأرسل غلامه ليشوي له كبكبة من لحم ، فشواها وأتى بها مسرعاً ، فاستغرب عمر وقال : قد أسرعْتَ بها؟! قال : لقد شويتها في نار المطبخ - وكان للمسلمين مطبخ يغديهم ويعشيهم - فقال لغلامه : كُلْها يا بني ، فَإِنَّكَ رُزِقْتَهَا ولم أرزُقْها .

وَأتى بهاء قد سُخن في فحم الإِمارة ، ففكرهه ولم يتوضأ به !

وقيل له قُبيل وفاته : تركتَ ولدك ليس لهم مال ، ولم تُؤوهم إلى أحد ؟  
فقال : ما كنت لأعطيهم ما ليس لهم ، وما كنت

لأخذ منهم حقاً هو لهم . وإن وليي الله فيهم الذي يتولى  
الصالحين ، إنما هم أحدُ رجلين : صالح أو فاسق .

### الخليفة الزاهد

والآن هيا إلى مائدة خليفة المسلمين . .  
ألا تريد أن تتغدى عنده ؟  
ألا تريد أن تكون ضيفاً عليه ؟  
ولكن عليك أن لا تندهش للوهلة الأولى حتى  
تعرف السبب . . بل أكاد أن أقول : لا تنسحب !  
وهل تقدر على أن تصلح نيتك كما كان يفعل هو ؟  
فأنت تريد الآن أن تعرف لماذا كان يأكل العدس !  
ولا يبدو أنه كان يأكل هذه النعمة لرخص سعرها  
فحسب . .  
بل يبدو أنه جربها لأمر أخرى . . فهيا نتعرف ماذا  
يقول في هذا الطعام !

لقد طلب من العالم الزاهد ميمون بن مهران أن يحدثه ، ويذكره . . فحدثه ، فبكى عمر بكاء شديداً . . فقال ابن مهران : لو علمت تأثرك إلى هذا الحد لقلت حديثاً ألين منه . فقال عمر : إنا نأكل العدس ، وهي كما علمت مُرَقَّةٌ للقلب ، مُغزِرَةٌ للدمعة ، مُذَلَّةٌ للجسد !

ويقول أبوأمية غلام عمر : دخلت يوماً إلى مولاتي فغدّتي عدساً ، فقلت : كل يوم عدس ؟! فقالت : يا بني ، هذا طعام مولاك أمير المؤمنين عمر !

ومع كل هذا فقد روي أنه ضرب بيده على بطنه ثم قال : بطني بطيء عن عبادة ربه ، متلوث بالذنوب والخطايا ، يتمنى على الله منازل الأبرار بخلاف أعمالهم !

ويزوره مرة ولي عهده - وكان معروفاً بحبه للطعام والإسراف فيه - فيمسكه عنده عمداً . . وكلما حاول

الذهاب أمره أن يجلس . . حتى جاع جوعاً شديداً . .  
 وكان قد أمر أهله أن يجهزوا طعاماً طيباً كثيراً . . لكنه  
 قدم إليه بعض العدس والخبز ، وربما شيئاً من التمر . .  
 وكلما حاول النهوض طلب منه أن يأكل أكثر . . حتى  
 شبع ! ثم أحضر ذلك الطعام الشهي الكثير . . وطلب  
 منه أن يأكل من جديد !! لكنه لم يقدر . . فقال له أمير  
 المؤمنين : فلماذا كل هذا الإسراف في الطعام ما دمت  
 تشبع من مثل هذا ؟ ففهم ولي العهد مقصده .

أما لباسه ، فيقول ميمون بن مهران : أقمْتُ عند  
 عمر بن عبدالعزيز ستة أشهر ، ما رأيته غير رداءه ، كان  
 يغسل من الجمعة إلى الجمعة ، ويبيّن بشيء من  
 زعفران !

وروى سعيد بن سويد أن عمر بن عبدالعزيز صلى  
 بهم الجمعة ، ثم جلس ، وعليه قميص مرقوع الجيب  
 من بين يديه ومن خلفه . فقال له رجل : يا أمير

المؤمنين ! إن الله قد أعطاك ، فلو لبست ! فقال :  
أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عندا لمقدرة .

وروى عمارة بن أبي حفصة قال : دخلتُ على عمر  
في مرضه وعليه قميص قد اتسخ وتخرَّق جيبه ، فدخل  
مسلمة - أخو زوجته - فقال لأخته - ناوليني قميصاً سوى  
هذا حتى نلبسه أمير المؤمنين فإن الناس يدخلون عليه .  
فقال عمر : دعها يا مسلمة ، فما أصبح ولا أمسى لأمر  
المؤمنين ثوب غير الذي ترى عليه !

وقال رجاء بن حيوة : قومتُ ثياب عمر بن  
عبدالعزیز وهو خليفة باثني عشر درهماً . . وهي قيمة  
قميصه وردائه وقبائه وسراويله وعمامته وقلنسوته  
وخفيه !!

ولذلك كان مالك بن دينار يقول : الناس يقولون  
عني زاهد ! إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي أتته  
الدنيا فتركها . .

صدق والله مالك بن دينار . . ترك الدنيا . . وما  
 رغب فيها منذ أن تولى أمر المسلمين . . بل كان يريد أن  
 يتخلص منها بأسرع ما يمكن . فتروي لنا كتب السير  
 أنه أرسل إلى عبدالله بن أبي زكريا - الذي قال فيه  
 الأوزاعي : لم يكن بالشام رجل يُفضّل عليه - وقال له :  
 هل تدري لم بعثت إليك ؟ قال : لا . قال : لن أذكره  
 لك حتى تحلف لي أنك ستنفذ ما أقوله لك . قال : يا  
 أمير المؤمنين ، لا تسألني شيئاً إلا فعلته . قال له :  
 فاحلف لي . فلما حلف له قال : ادعُ الله أن يميتني !  
 قال : بئس الوafd أنا للمسلمين إن دعوت بذلك . .  
 فأنا إذا عدوٌ لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - . فقال  
 له عمر : هاه ، قد حلفت لي . فقال : الحمد لله . .  
 فدعاه له ثم قال : اللهم لا تبقيني بعده !

وقد كان رفيع الخلق جمّ التواضع . . والشواهد  
 على ذلك كثيرة . . وقد يكفي هنا للتذكير أنه عندما  
 ضربت النقود في عهده كُتب عليها : «أمر عمر بالوفاء

والعدل» . فعندما رآها عمر قال : اكسروها واكتبوا :  
«أمر الله بالوفاء والعدل» !

وعندما قيل له : جزاك الله عن الإسلام خيراً قال :  
لا بل جزى الله الإسلام عني خيراً .

وعندما مدحه أحدهم بقوله : يا أمير المؤمنين إن من  
كان مثلك كانت الخلافة لهم زيناً ، وأنت زينُ الخلافة ،  
وإنما مثلك كما قال الشاعر :  
وإذا الدرُّ زانٌ حُسنَ وجوهٍ  
كان للدرِّ حُسنٌ وجهك زِيناً  
فأعرض عنه عمر .

### كرو من أقواله

- ما كذبت منذُ علمتُ أن الكذب يضرُّ أهله .
- مَنْ أكثرَ ذكْرَ الموتِ رضيَ من الدنيا باليسير ، ومن عدَّ



كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما ينفعه .

- أكثر من ذكر الموت ، فإن كنتَ في ضيق من العيش وسعه عليك ، وإن كنتَ في سعة من العيش ضيقه عليك .

- أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل .

- إذا سمعتَ كلمةً من أميء مسلم فلا تحملها على شيء من الشرِّ ما وجدتَ لها محملاً من الخير .

- إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن .

- قد أفلح من عُصم من المراء والغضب والطمع .

- اجتنبوا الاشتغال عند حضرة الصلاة ، فمن أضعأها

- فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشدّ تضييعاً .
- ما حسدتُ الحجاج عدوّ الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله ، وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل .
- ما وجدتُ في إمارتي هذه شيئاً ألدّ من حقّ وافق هوى .

### وعظ أمير المؤمنين

عن ميمون بن مهران قال : خرجتُ مع عمر بن عبدالعزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا أيوب ! هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشتهم . أما تراهم صرعى قد حلّت بهم المثلاث ؟ وأستحكم فيهم البلاء ، وأصابت الهوام في أبدانهم مقيلاً ؟ ثم بكى حتى غشي عليه .

اجتمع بنومروان ، فدخلوا على أمير المؤمنين عمر ليذكروه أرحامهم .. فتكلم رجل منهم فمزح .. . ووصله رجل آخر بالمزاح .. فقال عمر : ألهذا اجتمعتم ؟ لأخسّ الحديث ولما يورث الضغائن ؟ إذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله تعالى ، فإن تعديتم ذلك ففي السنة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإن تعديتم ذلك فعليكم بمعاني الحديث .

وقال مرة لجلسائه : أخبروني بأحمق الناس ؟ قالوا : رجل باع آخرته بديناه . فقال عمر : ألا أنبئكم بأحمق منه ؟ قالوا : بلى . قال : رجل باع آخرته بدينيا غيره .

وروى عاصم بن رجاء بن حيوة قال : كان عمر بن عبدالعزيز يخطب فيقول : أيها الناس ، من ألمّ بذنب فليستغفر الله وليتب ، فإن عاد فليستغفر الله وليتب ، فإن عاد فليستغفر الله وليتب ، فإنها هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال ، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرارُ عليها .

وروى عبدالله بن الفضل التميمي قال : آخر خطبة خطبها عمر بن عبدالعزيز أن صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين ، وسيركها الباقون كما تركها الماضون ، ألا ترون في كل يوم وليلة تشيعون غادياً أو رائحاً إلى الله تعالى ، وتضعونه في صدع من الأرض ، ثم في بطن الصدع ، غير ممهد ولا موسد ، قد خلع الأسلاب ، وفارق الأحباب ، وأسكن التراب ، وواجه الحساب ، فقيرٌ إلى ما قدّم أمامه ، غنيٌّ عما ترك بعده . أما والله إني لأقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثلما أعرف من نفسي . قال : ثم قال بطرف ثوبه على عينه فبكى ، ثم نزل . فما خرج حتى أُخرج إلى حفرتة .

وهو القائل :

أنا ميتٌ وعزٌّ من لا يموت  
قد تيقنتُ أنني سأموتُ

ليس ملكٌ يزيله الموتُ ملكاً  
إنما الملكُ ملكٌ من لا يموت

وسُمع يقول وهو في سكرات الموت : ﴿تلك الدارُ  
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا  
فساداً والعاقبة للمتقين﴾<sup>(١)</sup> .

مات سنة ١٠١ هـ ، وعاش تسعاً وثلاثين سنة  
ونصفاً .

(١) سورة القصص ، الآية ٨٣ .

## ثبوت المراجع

- ١ - أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - وسيرته / تأليف محمد بن الحسين الأجرى ؛ تحقيق عبدالله عبدالرحيم عسيلان .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ .
- ٢ - حلية الأولياء / لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني .- بيروت : دار الكتب العلمية ، د. ت .
- ٣ - الرقة والبكاء / موفق الدين بن قدامة المقدسي ؛ تحقيق محمد خير يوسف .- دمشق : دار القلم (قيد الطبع) .
- ٤ - سير أعلام النبلاء / شمس الدين الذهبي ؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ .
- ٥ - سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه / تأليف أبي محمد عبدالله بن عبدالحكم ؛ رواية ابنه محمد ؛ نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد .- ط ٢ .- القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٣هـ .
- ٦ - سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز : الخليفة والزاهد / لابن

- الجوزي ؛ دراسة وتحقيق وتعليق السيد الجميلي .-  
بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤٠٥هـ .
- ٧- الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء / عبدالرحمن بن  
الجوزي ؛ تحقيق ودراسة فؤاد عبدالمنعم أحمد ؛ مراجعة  
محمد السيد الصفتاوي .- الإسكندرية : مؤسسة شباب  
الجامعة ، ١٣٩٨هـ .
- ٨- صفة الصفوة / عبدالرحمن بن الجوزي ؛ حققه وعلق عليه  
محمود فاخوري ؛ خرَّج أحاديثه محمد رواس قلعجي .-  
ط ٣ ، مصححة ومنقحة ومزيدة .- حلب : دار الوعي ،  
١٤٠٥هـ .
- ٩- الطبقات الكبرى / لابن سعد .- بيروت : دار صادر ،  
د . د .

## الفهْرِس

- ٧ ..... وصفه
- ٨ ..... أمير المدينة المنورة
- ١١ ..... المنهج الواضح في الحق والعدل
- ١٦ ..... يحزن لأنه صار خليفة !
- ١٨ ..... الخليفة العادل
- ٢٢ ..... سرُّ عدالة خليفة المسلمين !
- ٢٥ ..... الخوف والخشية
- ٣٢ ..... التقوى .. والمال الحلال
- ٣٤ ..... الخليفة الزاهد
- ٣٩ ..... درر من أقواله
- ٤١ ..... وعظ أمير المؤمنين
- ٤٥ ..... ثبت المراجع





## سلسلة القدوة الحسنة

- ١ - أبو بكر الصديق - خليفة رسول الله ﷺ .
- ٢ - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسرّ عدالته .
- ٣ - عمر بن عبد العزيز - الخليفة الزاهد .
- ٤ - سفيان بن عُيَينة - شيخ الإسلام وحافظ العصر .
- ٥ - عبدالله بن المبارك - الإمام المجاهد .
- ٦ - الفضيل بن عياض - العالم القدوة .
- ٧ - ابن قدامة المقدسي - صاحب المغني .
- ٨ - صلاح الدين الأيوبي - ناصر السنّة وقاهر الصليبيين .